دلاور زنكي

أوصمان صبري

(1993-1905)

"حياته- نضاله- أعماله الأدبية"

حقوق الطبع والنشر والاقتباس محفوظة

أوصمان صبري

"حياته- نضاله- أعماله الأدبية"

المؤلف: **دلاور زنكي**

الاخراج الفني والتنضيد

روني زنكي

الطبعة الأولى

مطبعة أميرال

لبنان-بيروت

2012م

ألقيت هذه المحاضرة بمناسبة افتتاح مركز **"منتدى أوصمان صبري"** في القامشلي بتاريخ 9-5-2012م.

الإهداء

إلى السيدة الجليلة **هيفي أوصمان صبري**

مع فائق الاحترام والتقدير.

المؤلف

دلاور زنكي

9-5-2012م

أوصمان صبري (1905-1993)

"حياته- نضاله- أعماله الأدبية"

"نريد أن نحيا، ولكن ليس على أشلاء الآخرين، وأن نبني بسواعدنا وقوانا المتعاضده وبعقولنا الواعية وبكرامة مصانه استقلالنا ومجدنا، وأن نسمع صوتنا للأحرار المنصفين في العالم..."

"كيف أتعاون مع استعماريين يحكمون سورية ويذلون البلد الذي آواني وحماني من الموت والشتات، والذي هو أيضاً ينشد حريته كما أنشدها لبلادي وأمتي الكردية" .

"عثمان صبري"

في خاتمة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يبدأ تاريخ النهضة القومية الكردية واستيقاظ إرادة التحرر والاستقلال من سباتها الطويل.

ولدى صدور مجلة: "كردستان عام 1898م وظهور الطباعة الكردية" تجذّر الوعي السياسي والاجتماعي وترسخ –يوماً بعد يوم- في نفوس المتنورين الأكراد. وظلت مجلة "كردستان"

تجابه وتقاوم السلطات العثمانية في النضال من أجل التحرر والانعتاق من ربقة المحتلين. وظل الفكر القومي ينتشر ويتفاقم بين الجماعات الكردية وينتعش حيناً بعد حين على يد الأدباء والكتاب والشعراء ويزداد تألقاً من أمثال حاج قادر كويي.

وفي نهاية ثورة عام 1908م بدأت مرحلة جديدة بعد ظهور حزب "تركيا الفتاة" على الساحة السياسية. وكان للأكراد في هذا الحزب دور فعال بالغ الأهمية، عظيم الشأن. إلا أنه مع مرور الزمن ازداد حزب "تر كيا الفتاة" ضراوة وشراسة في مناهضة الأفكار القومية الكردية. فاضطر السياسيون الأكراد إلى التغاضي وأداروا له ظهورهم وأهملوا وجوده، ثم عمدوا إلى تأسيس بعض الجمعيات السياسية والاجتماعية مثل: جمعية العزم الكافي الكردستانية. وجمعية هيفي للطلبة الأكراد. وجمعية التعالي الكردستانية وغيرها من الجمعيات التي ساهمت في نشر الوعي القومي والاجتماعي والفكر السياسي عن طريق التعليم والطباعة والنشر. ومن بين تلك الصحف والمجلات التي كانت تصدر آنذاك مجلة: "كردستان عام 1908-1909م وصحيفة: "التعاون والترقي" الكردية و "روزي كرد" عام 1913م و "يكبون"- الاتحاد عام 1913م و "زين" الحياة عام 1918م وتعرف هذه المرحلة بأنها بداية النضال القومي الكردي.

عندما نشبت نار الحرب الكونية الأولى عام 1914م وانحازت الدولة العثمانية إلى ألمانيا في حروبها في مواجهة الدول

المتحالفة عزم الأكراد مرة أخرى أن ينتهزوا الفرصة ويجنوا بعض المكاسب من روسيا للثورة على العثمانيين بَيْدَ أن المحاولات الكردية أخفقت ولم تثمر عن أية منافع فقد تجزّأت الإمبراطورية العثمانية وكان القسم الأعظم من أرض كردستان تحت هيمنة الدولة العثمانية لذلك تجزأت أرض كردستان أيضاً. وفي السادس عشر من شهر أيار عام 1916م بقرار من الدول الثلاث العظمى: روسيا، وبريطانيا، وفرنسا في مؤتمر "سايكس بيكو" الأسود ألحق الجزء الشمالي من كردستان بالأراضي التركية، وألحق القسم الجنوبي بالعراق "عراق اليوم" وضم القسم الغربي إلى الأراضي السورية. أما القسم الشرقي فقد وقع تحت السيطرة الإيرانية.

بعد انهيار الدولة العثمانية وجد الأكراد حلولاً لقضية الوطن وترسيخ مسألة التحرر ووضعها موضع التنفيذ والسير بها إلى النهاية.

ومرة أخرى توجه الأكراد نحو الحلول السياسية والدبلوماسية ولاسيما بعد صدور مذكرة ويلسون التي تضم مبادئه، المؤلفة من أربعة عشر بنداً تنص على منح الشعوب حقها في الحرية والاستقلال، وقد تزعم شريف باشا هذه الحركة الدبلوماسية، وتقدم بالمذكرة الكردية إلى مجلس "فرساي 1919-1920م". إلا أن قرارات مؤتمر "سيفر" 10-8-1920م ألقيت تحت الأقدام

وتم نكران الوعود ونبذ المعاهدات من قبل الحلفاء في مؤتمر "لوزان" المنعقد عام 23-7-1923م.

ومن جهة أخرى فإن الانتفاضات والثورات والحركات الكردية ما لاذت بالسكون ولم تلتزم بالصمت في يوم من الأيام، كثورة "الشيخ عبيدالله نهري عام 1880م وانتفاضة درسيم عام 1905م وحركة الشيخ عبدالسلام البارزاني.. ومحاولات كامل بدرخان وكذا محاولات: "الشيخ طه صديق شمدينان". وانتفاضة "سيد عبدالقادر نهري" و"الشيخ محمود برزنجي" عام 1919م وانتفاضة "قوج كري" و "درسيم" عام 1920-1926م.... وكانت هذه الحركات والثورات متلاحقة ومتتابعة.

بعد إلغاء معاهدة "سيفر" والتوقيع على بنود معاهدة "لوزان" في 29- 11 -1923م تأسست الجمهورية التركية، دون أن يكون للأكراد وجود فيها. وكان وقع هذا الإجراء أليماً ومحبطاً للآمال لذلك تضافرت جهود بعض الزعماء والشيوخ والمتنورين الأكراد واتفقت آراؤهم فأسسوا رابطة سياسية في "أرزروم" تحت اسم "جمعية استقلال كردستان" كما أطلق عليها اسم "حركة التحرير" برئاسة: خالد بك جبري. وكان تأسيس هذه الجمعية الشرارة التي أججت نار ثورة الشيخ سعيد بيران عام 1925م.

حياة أوصمان صبري ونضاله وكفاحه

في قرية "نارنج" قضاء "كخت" من محافظة "سمسور": "آدييمان" في شمال كردستان ولد أصمان صبري في 5-1-1905م الخامس من شهر كانون الثاني عام خمسة وتسعمائة وألف. اسم والده صبري وهو كبير عشيرة "مرديسان" وأمه "أمينة".

يقول العم أوصمان في مذكراته متحدثاً عن عشيرته:

"عشيرتنا "مرديس" جزء من إمارة "مرديس". التي كانت عاصمتها في "آكيل" وبعد أن تسرب الضعف إلى جسد الإمارة وتضعضعت أحوالها تجزأت الإمارة استأثر كل أمير بإمارة مستقلة تحمل اسم العشيرة نفسها.

نحن تسعة أجيال انتهاء بي وابتداء بجدي "محمد" الذي وصل مع عشيرته "مرديس كاوستي" إلى الأرض المعروفة اليوم باسم "مرديسان"."

لم يكن "أوصمان صبري" قد تجاوزت سنه عشرة أعوام حين لبّى والده نداء ربه. فتزوج عمه الأكبر "شكري آغا زعيم عشيرة مرديسان" والدته أمينة وتفرغ لإدارة شؤون العشيرة بديلاً عن والد "أوصمان" .. ولم يألُ شكري آغا جهداً في رعاية ابن أخيه وتربيته تربية صالحة. وأنشأه على أعراف العشيرة وعاداتها

وتقاليدها الموروثة. وأغدق عليه عطفه وأحاطه بحنانه وحبه وشمله بكل شفقته ورأفته ثم يستأنف الحديث عن دراسته قائلاً:

"في عام 1917م حضر إلينا معلم حيث نلت الشهادة الابتدائية، وفي العام 1918م أرسلني عمي إلى "كخت" لمتابعة الدراسة في مدرسة "الرشدية" وفي غضون ثلاث سنوات حصلت على شهادتي العلمية".

وعن الأعراف العشائرية والزواج المبكر يقول:

"في عام 1920م نلت الشهادة من "الرشدية" فعدت أدراجي إلى البيت لأتفقه في الأنظمة والمبادئ العشائرية وعاداتها وتقاليدها الموروثة. وفي خريف عام 1922م كنت قد بلغت من العمر سبعة عشر عاماً حيث زوّجني الأهل إحدى الفتيات وبعد مرور عام رزقت بصبي: "ابني: ولاتو"[1].

[1] - تزوج العم أوصمان صبري مبكرا وأنجبت زوجته الأولى ثلاثة أبناء، وسرعان ما توفيت مع اثنين من أولادها في الطفولة، أما الثالث (ولاتو) فقد قتل عام 1970م في السابعة والأربعين من عمره، تزوج أوصمان ثانية من امرأة جركسية "شادية" وأنجبت له ثلاثة أبناء (هوشنك27-6-1945م درس الفلسفة في جامعة دمشق وفي برلين حصل على شهادة الصيدلة، وهوشين 27-8-1946م درس الهندسة في تشيكوسلوفاكيا وفي السويد درس دار المعلمين العليا، وهفال5-10-1955م، درس الهندسة في جامعة دمشق ولم ينه دراسته سافر إلى ألمانيا وبعدها سافر إلى أمريكا)، وبنتين (هنكور15-8-1948م لم تحصل على البكالوريا، وهيفي22-12-1951م حصلت على أدب الانكليزي- ليسانس من جامعة دمشق وفي السويد درست دار المعلمين العليا)، وتبنى ابنة عمه (كوي-1947م).

إن العم-[2] Apo"أوصمان صبري" يعلن في مذكراته عن استيائه ويبدي بوضوح عن سخطه حين يتحدث عن التقاليد والأعراف العشائرية البالية، ويدعو إلى نبذها. حيث يقول: "... وسبب هذا التحول في نظرتي إلى السلوك العشائري هو أحد أساتذتي "إسماعيل أفندي" وهو الذي فتح باصرتي على تلك العيوب والأخطاء التي ترتكبها الأنظمة القبلية والعشائرية".

لم يمض من الزمن إلا القليل حتى كان الفتى "أوصمان" صبري قد بلغ شأواً بعيداً من الوعي والفهم فشارك عمه "شكري آغا" في إدارة شؤون العشيرة وتدبير أمورها، ولما اندلعت ثورة الشيخ سعيد بيران حاول أوصمان صبري وعمه شكري آغا الانضمام إلى الثورة ومناصرتها غير أن الثورة سرعان ما همدت وقضي عليها في أمد قصير وفي صيف عام 1925م أسر الشيخ سعيد مع (48) ثمانية وأربعين رجلاً من مقاتليه وأعدموا في "دياربكر".

وبعد إخفاق ثورة الشيخ سعيد وإلحاق الهزيمة بها عام 1925م شرعت الدولة التركية في ممارسة سياسة التتريك قسراً وبقوة السلاح قتلاً وبطشاً فأحرقت القرى ودمرتها دون رحمة ونزعت

[2] - ان سبب تسمية أوصمان صبري Apo - العم يعود إلى نقمته على الزعامة الكردية التقليدية وكراهيته حتى لألقابها "أغا، بك ، باشا" على الرغم من أن عائلته كانت تتزعم عشيرة "مرديس" حيث درجت زوجة المرحوم جلادت في فترة نشوء علاقة أصمان مع البدرخانيين على مخاطبته بكلمة Apo لمعرفتها بكراهيته لألقاب الزعامة الكردية المستعملة بين الكرد.

الأسلحة من العشائر الكردية، فدب الفساد في كل شيء واضطربت الأحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية.

هُجّر الأكراد بمئات الآلاف من بلادهم، وتحوّلت كردستان إلى جحيم، ولجأ كثيرون من الوطنين والسياسيين إلى سوريا والعراق وإيران وكذلك إلى الدول الأوروبية. ومع كل هذا وذاك لم تفلح الدولة التركية في إخماد الروح الثورية في نفوس الأكراد أو كسر إرادتهم في التحرر أو القضاء على آمالهم في حياة كريمة. ولم تفلح أيضاً في منع نشوب الثورات في جبال "جابكجور" و "فارقين" و"ساسون" و"آكري".

في اليوم الرابع والعشرين من شهر حزيران عام ستة وعشرين وتسعمائة وألف 24-6-1926م أعدم الأتراك اثنين من أعمام أوصمان صبري: "شكري نوري في آمد- دياربكر". وفي هذه الاثناء أعتقل أوصمان صبري وهو ما يزال فتى يافعاً. وظل رهين السجن في "دنزلي" حتى عام 1928م، وبعد إعلان العفو العام وخروجه من السجن عاد إلى "ملاطيا" وشرع في استئناف الكفاح القومي ومناهضة نظام الحكومة التركية. ولكنه اعتقل مرة اخرى بعد عام واحد فقط (1929) مع ستة وعشرين من رؤساء العشائر الكردية حيث قدموا الى المحكمة العسكرية في ملاطية بشمال كردستان بتهمة التحضير لثورة كردية جديدة. ولكن أطلق سراحه بمساعدة نائب المدعي العام حسين حسني الكردي الذي

قال له :(إني أغامر بوظيفتي وحياتي لأنني واثق من أنك سوف تخدم قضية شعبنا) وقد تحققت نبوءته. ولكن الحكومة لم تهمل أمره أو تتغاضى عن سلوكه فكانت تتعقبه ولا تكف عن مراقبته. ثم أن القضاء التركي حكم عليه بالسجن مرة أخرى "ويقول الشاعر جكرخوين: كان القرار يتضمن الحكم عليه بالإعدام". ولكن أوصمان صبري كان حذراً ويحتاط للأمر حتى لا يقع في الأسر. ولما لم يجد في اليد حيلة اضطر إلى النزوح إلى سوريا (24-12-1929)م حيث لجأ إلى العشيرة البرازية في مدينة "كوباني- عين العرب". التي كانت تحت زعامة مصطفى وبوزان شاهين بك "كانا عضوين في جمعية "خويبون" لقد كان الأمل يفعم قلبه بالعودة من هذا السفر المضني الطويل. لذلك يقول:

" إن امرأً أمضى ردحاً من الزمن في مقارعة الظلم ومكافحة الجائرين الأتراك ليس ببعيد أن يقضي حياته كلها في ذلك النهج النبيل والغاية السامية.. أما أنا فإن سخطي على الطغاة الأتراك وكراهيتي لهم وحبي لوطني وتوْقي إلى أهلي وشعبي، كل ذلك يدعوني إلى التشبث بالكفاح والنضال. ومن العار أن أتوانى أو أتهاون في الحفاظ على فكري وسعيي ومجاهدتي".

في سوريا- كوباني انتمى أوصمان صبري برعاية من الأمير: جلادت بدرخان إلى جمعية "خويبون" التي أسسها الأمير جلادت بدرخان عام 1927م في بيروت-بحمدون. يقول أوصمان

صبري في هذا الصدد كالتالي: "بعد مجيئي إلى سوريا بعدة أسابيع حضر الأمير: جلادت بدرخان إلى "كوباني- عين العرب" و إذ تم اللقاء بيننا انتسبت إلى جمعية "خويبون" بتوجيه من الأمير. وغدوت فيها عضواً".

بعد مجيئه إلى سوريا طالبت الحكومة الكمالية فرنسا "كانت فرنسا آنذاك تحتل سوريا" بتسليم أوصمان صبري إليها. ولكن فرنسا لم تستجب لدعوة الحكومة التركية ورفضت تسليمه اليها وبسبب بعض منافعها نفته من "كوباني" إلى مدينة الرقة ليكون بعيداً عن الحدود التركية.

في عام 1930م قرر أعضاء جمعية "خويبون" مؤازرة انتفاضة "آكري" وتأهبوا- بعد أن أعدوا العدة- للعبور من داخل الأراضي السورية إلى تركيا. وأن الليلة الثالثة عشية اليوم الرابع من شهر آب عام 1930م موعداً للهجوم من غرب كردستان إلى شمالها. وقررت قيادة "خويبون" أن توزع المعارك على ست جبهات يقودها ستة أعضاء من "خويبون" بحيث تبدأ ساحة الحرب من منطقة جرابلس الواقعة على نهر "الفرات" وتنتهي عند منطقة "عين ديوار" الواقعة على نهر "دجلة". كان بوزان شاهين بك وأخوه مصطفى بك يقودان القوات البرازية في "كوباني- عين العرب" اللذين سارا باتجاه "أورفا" و "مرعش" وسار أوصمان صبري باتجاه عشيرة "مرديسان"، ومما يحز في النفس أن كثيرين من الزعماء الأكراد ورؤساء العشائر تنكروا

لوعودهم وتخلوا عن المحاربين عندما أرادوا مهاجمة الأتراك.. ولم يبق في الساحة سوى المناضل الثوري أوصمان صبري وبعض الرجال من العشيرة البرازية الذين عبروا الحدود إلى داخل كردستان الشمالية وحاربوا الأتراك على الرغم من قلة عددهم، ووزعوا بعض المنشورات. وكان من الطبيعي أن يكرهوا على التقهقر والعودة.

وبعد أن ساءت أحواله وضاق به المكان توجه إلى كردستان الجنوبية- منطقة برزان، وهناك يلتقي بالمناضل الكبير: "عبدالرحيم كارسي" . يقول العم أوصمان صبري: "في عام 1930م.. في منطقة "برزان" عرفت المغفور له الشيخ عبدالرحيم كارسي وتصاحبنا أمداً طويلاً...". غادر المنطقة في نهاية السنة نفسها، حيث اعتقل في سجون الموصل[3] وبغداد في أيار عام 1931م وذلك بأمر من السلطات البريطانية التي كانت تمثل قوات الانتداب هناك. في حزيران عام 1931م، بعد الإفراج عنه اضطر الى الاختفاء عند البدو العرب، وبعد ذلك غادر الى عمّان وفلسطين، ورجع إلى سوريا.

[3] -في هذا الصدد يقول الاستاذ الحاج عبدالفريد ملا ابراهيم كما سمعها من العم أوصمان صبري: عندما نقل العم أوصمان صبري من سجن الموصل الى جبل سنجار لتسليمه إلى الحكومة التركية وفي الطريق التقى مع مسافرين من جبل سنجار وتعرفوا عليه وروى لهم عن سجين كان معه في السجن وهو "اسماعيل بك" من سنجار، وعن اسباب اعتقاله وتسليمه الى الاتراك. وصل الخبر الى زعيم اليزيديين "حمي شرو و ابنه خوديدا"، فتدخلوا عند الانكليزي لفك اسره. بعد جدال طويل اخذ ورد تم الأفراج عنه بمساعدة الزعيمن اليزيديين "حمي شرو وابنه خوديدا".

في دمشق عقد أول اجتماع للمثقفين والمتنورين الاكراد المهاجرين في دار "علي زلفو آغا" في "حي الأكراد" برئاسة الأمير: جلادت عالي بدرخان. وفي ذاك الاجتماع تحدث إليهم الأمير وألقى خطبته التاريخية:

"أيها الأخوة الأكراد، أيها المثقفون الشجعان... لم تستطع الثورات والانتفاضات أن توحد شعبنا، ولم نحقق الهدف الذي ناضلنا من أجله... علينا الآن أن نتسلح بالعلم والثقافة، ونطور ثقافتنا وفولكلورنا الغني ونتعرف على تاريخنا... فليكن العلم هو السلاح والمرشد دائماً لنا...".

بهذه الكلمات المؤثرة المشبعة بالتروي والحكمة أوقد الأمير جلادت بدرخان لهم مشعل النضال وحوّله إلى معركة العلم والقلم.

إن الثورويين والقوميين مثل جلادت، كاميران، وأوصمان صبري، وجكرخوين، وحسن هشيار، وقدري جان وغيرهم مهدوا طريق المعرفة الكردية وثقافتها ونضالها الأدبي، ووضعوا الأسس والمداميك بمشاعر كردستانية لثقافة وأدب الأكراد في سوريا الذين استطاعوا اختراق الحدود المصطنعة والتواصل مع الأكراد في جميع انحاء كردستان وكل أرجاء العالم على جسور الأدب والثقافة.

لقد أصدر أولئك الروّاد مجلة "هاوار" في 15-5-1932م وبصدورها دخل الأدب الكردي في سوريا مرحلة جديدة من الحداثة والتجديد ولاسيما بعد نشر الأبجدية الكردية اللاتينية.

وبدعم ومؤازرة الأمير جلادت بدرخان دخل جبهة الحرب بسلاح القلم، وتصدر الرتل الأمامي بين الكتاب والأدباء. لم يكن أوصمان صبري شاعراً وأديباً وكاتباً وحسب ولكنه كان محرراً أيضاً في المجلة.

إلا أن العم أوصمان صبري كان دائماً يتطلع إلى الناحية السياسية والنضال المسلح. كان يعتقل كثيراً بسبب نضاله ومواقفه السياسية الجريئة. فكان إذا تحرر من السجن عاد إلى هدوئه وإلى سلاحه الأدبي ونسي تلك الهواجس. ولم يكن السجن ليرهبه في حال من الأحوال، وما كانت المعتقلات تلين من قناته أو تبدل قناعاته.

في عام 1935م اعتقل في لبنان مرتين. ومن لبنان نفي إلى جزيرة "مدغشقر" في أفريقيا في العام نفسه . وبعد مرور عام أعادته إلى سوريا. ولأسباب وخلافات بين أطراف "خويبون" تنحى عن جمعية "خويبون" عام 1938م، ودأب على البحث عن أعضاء آخرين لمواصلة العمل. كانت أيامه تمضي في ضنك وقسوة. فقد اعتقل ثماني عشرة مرة كما كان يقول. فهو لم يعتقل في سوريا وحدها، ولم يعتقل في تركيا وحدها فقد اعتقل في العراق وسُجن في الموصل وفي بغداد وأمضى إثني عشر عاماً

من حياته في السجون. ولكن هذا الجور لم يثنه عن نهجه. يقول الشاعر جكرخوين في مذكراته: "إنه وطني غيور وفي لأصدقائه، صلب وعنيد في مواجهة خصومه ومناوئيه". أنشأ أوصمان صبري ومعه بعض الأشخاص رابطة باسم "اتحاد الشباب" في مدينة دمشق ثم ضموا هذه الرابطة إلى "نادي صلاح الدين الثقافي" وغيروا اسمه إلى "نادي كردستان" وكانت مهمة هذا النادي تعليم اللغة الكردية قراءة وكتابة وإذكاء الحس القومي.

بعد استقلال الحكم في سوريا، وطرد الفرنسيين منها، أوقفت الحكومة السورية جميع النشاطات الثقافية والأدبية للأكراد نهائياً، واغلقت الأبواب في وجههم، ومنعت اللغة والفولكلور، ومارست جملة من الضغوطات والارهاصات. وقامت بتنفيذ بعض المشاريع والمخططات، وتابعت سياسة الاضطهاد والعنصرية.

في عام 1949م في عهد حسني الزعيم أعتقل أوصمان صبري وأُبعِد في الحال إلى مدينة "تدمر" وفي غضون إقامته في تدمر أطاح الجيش بحكومة حسني الزعيم فأخلي سبيله وعاد إلى دمشق ثم انتقل إلى الجزيرة للسكن بين الأكراد وأقام في الدرباسية يشغل إحدى الوظائف الحكومية مدة عامين "في مكتب الحبوب". لكنه طرد من المكتب الحبوب بأمر من وزير الداخلية لأسباب سياسية.

في عام 1951م تأسست رابطة المثقفين في محافظة حلب بعضوية كل من رشيد حمو وشوكت حنان، ومحمد علي خوجه تهدف إلى نشر الوعي وانعاش الروح القومية وفي العام نفسه اعتقل جميع أعضائها وانتهى أمر الرابطة.

وفي عام 1953م تسنم أديب الشيشكلي منصب الرئاسة في البلاد ووضعها تحت الحكم العسكري المستبد ولكنّ الأمد لم يطل به فقد استطاع بعض الضباط أن يعزلوه عن السلطة ويعيدوا للشعب حريته.

في عام 1955م أنشئت في سوريا- القامشلي: (وحدة الشباب الديمقراطيين الأكراد) وكان من مؤسسي هذه الجمعية السيد محمد ملا أحمد، وعبد العزيز علي ملا عفدي، ودرويش ملا سليمان، وسامي ملا أحمد نامي.

وفي عام 1955م تأسست جمعية **(احياء الثقافة الكردية)** من قبل المناضل الكبير عثمان صبري وحميد درويش ومجيد حاج درويش ومحمد صالح حاج درويش وخضر فرحان عيسى وعادل من جبل الأكراد وسعدالله (سعدو) ايبو، ولم تدم هذه الجمعية اكثر من سنة واحدة.

وفي عام 1956م تأسست جمعية باسم (**المعرفة والتعاون الكردي**) في منزل المناضل نوري درسيمي في حلب، وكان من مؤسسي هذه الجمعية، (الدكتور نوري درسيمي، والأميرة

روشن بدرخان، وحسن هشيار، وأوصمان أفندي، وحيدر محمد كنجو...)، وسعوا لتقديم المساعدة لفقراء الأكراد.

وفي عام 1956 زاره في دمشق الأستاذ الدكتور جمال نبز وكانت تلك الزيارة مناسبة لأن يشتركا في إصلاح الخط/الإملاء الكردي بالأحرف اللاتينية. وقد كان هذا العمل خطوة هامة في سبيل تطويع الأحرف اللاتينية لتلائم أصوات اللغة الكردية بصورة كاملة. كما بحثا وخططا معاً مقدمات إنشاء مجمع علمي كردي.

وفي عام 1957م أنشئ حزب "الحرية". أسسها جكرخوين ومحمد فخري، وملا شيخموس شيخي، وملا شيخموس قرقاتي.

وليس من نافلة القول أن مؤسسي هذه الجمعيات والجمعيات الأخرى حلوا جمعياتهم بعد إنشاء حزب البارتي عام 1957م.

وفي عام 1957م تأسست رابطة للطلبة الكرد في جامعة دمشق، وكان أول لقاء لتلك الرابطة في دار المرحوم مقداد بك جميل باشا ضمت الرابطة أعضاء من أكراد سوريا والعراق وهم: (علي فتاح دزه ئي-رئيساً، عزالدين مصطفى رسول سكرتيراً، حميد الحاج درويش، قاسم مقداد جميل باشا، عمر محي الدين شريف، مؤيد عبد الغفار نقشبندي، صبحي رشو، إسماعيل عبد الحنان، خليل محمد عبد العزيز، طلعت نادر- طالب ثانوية) وعقد اجتماع في دار بحي سوق ساروجة ضم 18

طالباً بينهم: جمشيد جلادت بدرخان وداوود حرسان. احتفلوا بعيد النوروز في دمشق على شكل مأدبة في أحد كازينوهات الربوة.

بعد ثورة يوليو 1952م في مصر ومجيء جمال عبدالناصر، وإثر ثورة تموز في العراق عام 1958م تصاعدت الدعوات القومية واتخذت طابعاً عروبياً متشدداً وعنصرياً منغلقاً، وشوفينياً متزمتاً في المنطقة بشكل عام. وكنتيجة لهذا الفوران القومي لدى الشعوب المحلية كان لا بد للشعب الكردي في سوريا أيضاً أن ينهض ويناضل من أجل نيل حقوقه الطبيعية، فشكل العديد من الجمعيات والنوادي رافعاً شعار "النضال من أجل تأمين الحقوق القومية للشعب الكردي" وكان لعودة البارزاني الخالد إلى وطنه كردستان كرائد قومي واندلاع ثورة 1961م أثره الكبير في إذكاء جذوة النضال.

ففي عام 1957م تم تأسيس الحزب الديمقراطي كردستاني في دمشق. وهو حزب تحرري تقدمي، هدفه تحرير وتوحيد كردستان.

المؤسسون وهم: عثمان صبري المؤسس والراعي الأول لهذه الفكرة. الشيخ محمد عيسى. حميد درويش. حمزة نويران. رشيد حمو. محمد علي خوجه. خليل محمد. شوكت حنان. وهؤلاء هم المؤسسون - وان جاء بعضهم متأخراً بعض الشيء- وهم في الوقت نفسه اعضاء مركزيون، عقدوا أول اجتماع لهم

في 1957/6/14م. وفي صيف عام 1958م انضم كل من الدكتور نورالدين ظاظا والشاعر جكرخوين الى صفوف البارتي أي بعد تأسيس الحزب بعام كامل. وفي ما بعد تم تغيير اسم الحزب الى (الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا)، وتم تغيير هدفه من تحرير وتوحيد كردستان الى حقوق ثقافية واجتماعية وسياسية، تلبية للرغبة التي أحس بها الجميع بعد اعتقالات 1960م، من أنهم يجب أن يراعوا وضع شعبنا الكردي المقسم بين خمسة دول، وكذلك ظروف المنطقية، والدولية والأهداف المرحلية للبارتي.

كانت هناك عوامل موضوعية وذاتية، هيأت الشعب الكردي في سوريا ليشارك في عمل قومي جماعي، يقوده الى أهدافه القومية والوطنية. والتفاف الطبقات الشعبية والفئات الوطنية الكردية حوله، والتأثير النوعي في حياة الجماهير الكردية. وكان لهذا النشوء تحول بارز في مسيرتها السياسية ومصيرها الوطني، حيث بدأت تلك الجماهير تشعر بهويتها القومية، وشرعية حقوقها، وديمقراطية طموحها. ان انبثاق **(البارتي)** كان مكسباً هاماً وانجازاً تاريخياً رائعاً لمناضليه ووطنه. بدأ التنظيم يتسلل الى الحياة الكردية، وساد الشعب شعور قومي، واجتمعت حول الحزب جميع شرائح المجتمع، ولكنه للأسف لم يقدم شيئاً في المجال الثقافي والأدبي وحتى الإعلامي (صحف، مجلات، جرائد، كتب...)، إذا استثنينا بعض المثقفين الذين نشروا كتباً وكراريس بدافع ذاتي، مثال (ألفباء باللغة الكردية، وبعض

الدواوين، والقصائد عن طريق المطربين والمغنين...)، للشعراء أمثال: جكرخوين، وأوصمان صبري، سيداي تيريز، وأحمد نامي، وأحمد شيخ صالح، ويوسف برازي "بي بهار"....الخ.

في أعوام 1954-1958م قبل أيام الوحدة بين سوريا ومصر عاش الشعب في سوريا حياة رخية في كنف نظام ديمقراطي حرّ يستوي فيه جميع أفراد الشعب، غير أن الشعب الكردي كان معزولاً عن جميع حقوقه على الرغم من النظام الجمهوري البرلماني.

وبعد إعلان الوحدة بين الدولتين –سوريا ومصر- تبدلت الأحوال في سوريا... وتحول الحكم البرلماني إلى حكم عسكري جائر ومستبد، وتقرر حلّ جميع الأحزاب وتم إلغاؤها جميعاً ولكن الحزب الديمقراطي الكردي، وكذلك الحزب الشيوعي السوري ضربا صفحاً عن هذا القرار واستمرا في ممارسة نشاطهما السياسي بشكل سري بعيداً عن عيون السلطة وجواسيسها. وتعرض الشعب في سوريا لشتى ضروب الاضطهاد والسجن وتسرب الفساد إلى جميع مرافق الحياة.. وقضى كثيرون من المساجين نحبهم في السجون والزنزانات تنكيلاً وتعذيباً.

إن العم أوصمان صبري أيضاً كان له نصيب من تلك الاعتقالات ففي 12-8-1960م أعتقل مع الدكتور نورالدين ظاظا وواحد وثلاثين شخصاً من رفاقه. ومكثوا في سجن حلب

وسجن "المزة" في دمشق حتى 20-2-1962م ولدى هذا الاعتقال ظهر بين الرفاق المساجين أنفسهم كثير من الخلافات والتناقضات في وجهات النظر حول برنامج الحزب وأهدافه.

عقدت محكمة أمن الدولة العليا العسكرية جلسة صباح أمس السبت 4-12-1960م، برئاسة العقيد درويش الزوني وعضوية العقيد عدنان راغب والمقدم عبدالرحمن غفير. وممثل النيابة العامة الرائد ياسين اراكيلي، ونظرت في دعوى جديدة مقامة على المتهمين: الرقيب محمد علي حسو من أهالي القامشلي، والدكتور نورالدين ظاظا صبري من دمشق ازبكية، ورشيد حمو مزارع من عفرين، وعبدالمجيد شاشان ملاك من قبور البيض القامشلي، وعثمان صبري من دمشق شيخ محي الدين ويعمل عامل صيدلي، وأحمد الحنان فلاح من عفرين، وسيد محمد رسلان فلاح من عفرين، وكمال جميل فلاح من عفرين، وعمر مصطفى فلاح من عين العرب، وحسن عبده عثمان فلاح من عفرين، ومحمد أحمد الأحمد فلاح من القامشلي، ومحمود شوكت فلاح من عفرين، والمجند خليل عمر من عفرين بجناية سلخ جزء من أراضي الجمهورية العربية المتحدة والاظناء الشرطي شوكت حسين، ومحمد علي أحمد اليوسف فلاح من عين العرب، ومصطفى إبراهيم مصطفى من عين العرب، وعمر عبد كردي عامل من حلب، وحسن خليل يوسف عامل من حلب، ونهاي جعفر فلاح من عفرين، ومحمد خليل يوسف فلاح من القامشلي، ومصطفى حسن فلاح من عفرين، ومحمد علي شيخ عثمان فلاح

من عفرين، ومحمود صالح باقي فلاح من عين العرب، واحمد ملا إبراهيم من عين العرب، وعبدالقادر كردي من دريك، ومحمد سامي (....) من القامشلي ، وكنعان عكيد من ديريك، ونواف نايف مصطفى من القامشلي، وعبدالله صالح فلاح من عين ديوار، وعمر مصطفى فرزان من ديريك، وصادق محمد ميرزا من القامشلي. بتهمة الانتساب الى جمعية سياسية من أهدافها سلخ جزء من أراضي الجمهورية العربية المتحدة وإقامة دولة كردية تسمى "كردستان" تضم كافة الأكراد الموجودين في الجمهورية العربية المتحدة-سوريا- والعراق وتركيا وايران والاتحاد السوفياتي.

هذا وكان النائب العام الرائد زهير العادي قد طلب في قرار الاتهام الذي بلغ 7صفحات الحكم على 13 متهماً بالأشغال الشاقة المؤبدة وعلى الاظناء بالسجن بمدد مختلفة بين الـ20 وخمس سنوات.[4]

كان عثمان صبري جريئاً وصامداً أمام القاضي الفرد العسكري وأمام محكمة أمن الدولة، دافع عن مبادئ البارتي وشعاراته كما هي، واعترف بشجاعة بان تحرير وتوحيد كردستان من مبادئ البارتي وأن كردستان تدخل في أراضي سورية من ثلاثة مواقع وهي: الجزيرة. عين العرب (كوباني).

[4] -للمزيد راجع الكتاب الوثائقي: من أدب القضية (وثائق)، اعداد: دلاور زنكي و أحمد شهاب، ألمانيا، الطبعة الأولى، خاصة 2011م. ص97-99.
www.dilawerkurdi.wordpress.com

عفرين، وأنه يؤيد دولة كردستان ويتعاطف مع نضال شعبها. وإن كان بينه وبين نفسه قد يستثقل بعض هذه المقولات ويراه غير واقعي، لكنه لم يتخاذل ولم ينهزم ما دام انه من صلب المنهاج ومقررات الحزب.

سئله القاضي: -هل انتم فرع من الحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق بزعامة البارزاني؟

اجابه العم أوصمان صبري.

-لا، لسنا فرع من الحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق. نحن حزب مستقل.

-كيف ترى عملهم؟

اجابه العم أوصمان صبري.

-"الله يعطيون العافية".

-اذاً أنت راضاً عنهم؟

-نعم، بالتأكيد.

كذلك كان عنيداً وصلباً أمام خبر التصاريح الذي أشيع في السجن بان المباحث سوف تأخذ من المعتقلين تصاريح ثم يطلق سراحهم بدلاً من تقديمهم إلى المحكمة، وقد لاقى هذا الخبر موقع القبول لدي بعض الحزبيين وغير الحزبيين من المعتقلين، فوقف

بوجههم عثمان صبري ورفاقه الذين على شاكلته واستنكروا ورفضوا بشدة هذا الموقف الجبان اللاحزبي هذا ما كان يشهد به رفاقه الذين كانوا معه في السجن. وبسبب هذه الشجاعة زجّ في السجن عامين.

في أوائل شباط عام 1962 عقد كونفرانس حزبي بدمشق وهو أول كونفرانس يعقده الحزب منذ تأسيسه، وغاب عنه عثمان صبري لوجوده في السجن.

وفي أوائل عام 1963 عقد كونفرانس ثان في القامشلي، لم يحضره عثمان صبري لوجوده بلبنان ولم يتمكن من الحضور، وانتخب فيه عضواً في اللجنة المركزية.

وفي أوائل آب عام 1964 عقد كونفرانس ثالث في قرية (جمعاية)، لم يحضره عثمان لوجوده في السجن اذ اعتقل مع نجله هوشنك وبعض رفاقه في 1964/5/23 وانتخب فيه عضواً في اللجنة المركزية. ولم يخرج من السجن إلا بعد انتهاء عام 1965م.

وفي 5-8-1965م عقد كونفرانس حزبي في قرية "جمعاية" شارك فيه اعضاء اللجنة المنطقية وأعضاء الفروع وممثلون عن الهيئات المحلية وكان الغرض من انعقاد هذا الكونفرانس هو البت في بعض الأمور المختلف عليها بين أعضاء الحزب والبحث عن الاسباب وايجاد الحلول لتلك

المعضلات. بَيْد أن هذا الكونفرانس لم يثمر عن شيء يرضي جميع الأطراف على العكس انبثق منه حزب جديد باسم: الحزب اليساري الكردي وعرف الشق الآخر باليمين الكردي. وفي هذه المرة أيضاً كان العم أوصمان صبري غائباً عن الكونفرانس بسبب وجوده في السجن ومع ذلك كان موافقاً على جميع قرارات الكونفرانس. وكان اليسار يستقوي ظهره بوجود عثمان صبري بين صفوفه، ويستفيد من شعبيته لدى الأوساط الشعبية ومكانته عند الوطنيين الأحرار المستقلين، ويقول العضو اليساري في المجالس العامة وبين الناس: ان عثمان صبري معنا وهو على رأس حركتنا النضالية.

وفي أواخر آب عام 1966م عقد اليسار مؤتمره الأول في قرية الهلالية برئاسة عثمان صبري، وبعد انتهائه من أعمال المؤتمر، غادر مدينة القامشلي متجهاً إلى مدينة دمشق بصحبة أحد من رفاقه القياديين، وقبل ان يدخل مدينة حلب اعتقله الأمن السياسي.

وفي عام 1968م عقد الحزب اليساري كونفرانسه الثاني في بلدة عاموده برئاسة عثمان صبري، حضره أعضاء القيادة وأعضاء اللجنة المنطقية وممثلون عن اللجان الفرعية وبعض كوادر الحزب النشطة، ولما بدأ الكونفرانس بمزاولة أعماله، تبين للرفاق ان هناك خلافاً بين القيادة وعثمان صبري وبالأصح بينه وبين صلاح بدرالدين و ملا محمد نيو، وإن المهمة الرئيسية

لعقد هذا الكونفرانس هي: معالجة الخلاف الذي بينهما وحله بطرق تنظيمية. ولكن عثمان صبري استقال من الحزب عام 1969م، ولم يقم بعدها بأي عمل حزبي أو نشاط سياسي حتى وافته المنية.

وفي عام 1969م أصدرت محكمة امن الدولة قراراً بسجنه مدة عامين فاضطر في 1969/6/14 أن يتوجه الى شمال كردستان فلجأ إلى تركيا عدة أشهر، ولما عاد إلى سورية اعتقل وأودع سجن "القلعة" حتى عام 1973م.

في عام 1970م كانت النزاعات والصراعات تتفاقم بين الحزبين الكرديين –اليسار واليمين- يوماً بعد يوم وتتسع هوة الخلافات بينهم حتى أن الزعيم الخالد ملا مصطفى البارزاني عجز عن رأب الصدع والجمع بين الحزبين وتوحيد صفوفهم ومعالجة ذلك الجرح الذي كان يقض مضاجع الحزبين. وفي مؤتمر الوطني "ناوبردان" الذي انعقد في كردستان الجنوبية وبدل أن يتحد الحزبان المتنازعان انبثق عنهما حزب سياسي ثالث عُرف باسم الحزب الديمقراطي الكردي في سوريا "البارتي"[5].

مما لا ريب فيه أن أوصمان صبري عاش مخالطاً شعبه يشاطره آلامه وآماله يتجرع معه حلاوة الأيام ومراراتها يحس

[5] -عقد مؤتمره الأول عام 1972م.

بأفراحه وأتراحه يغدو ويروح متأثراً بكل حالاته من تخلف و رقيٍّ، لا تفوته شاردة ولا واردة. لم يستسلم في يوم من الأيام للظروف والأحداث. ولم يتعلق قلبه بالأمنيات البراقة ولم يجر خلف أضغاث الأحلام وخلّب الآمال وكان يقول: إن الحياة جهاد وكفاح.. والظالمون لا يردعهم إلا العنف ولا يزول الاستبداد والطغيان إلا بالشدة والبأس. ولا تتحقق الغايات إلا بالقوة. وقد كان دائماً يتشوف إلى يوم ينتضي فيه السيف ويدع اليراع جانباً حتى تتحرر كردستان.

ولم يكن كثير الثقة بالنضال السياسي فلما يئس منه أدار له ظهره.. وكان يؤمن إيماناً عميقاً مطلقاً أن يوم تحرير كردستان آتٍ لا محالة. وستشرق شمس كردستان غداً أو بعد غد. كان دائماً على حذر من أولئك الخائنين والعملاء والأنانيين والجواسيس والوصوليين الجشعين. كان يقول: "يبدو أننا نحن الأكراد عاجزون عن بناء دولة كردستان، وسوف يأتي علينا حين من الدهر ويأتي أحد مّا ليبني لنا دولتنا ولكنني أخشى أن يدمّر الأكراد كردستان بأيديهم".

في عام 1971م جردته الحكومة السورية من الجنسية السورية. وبعد خروجه من السجن عام 1973م، وضعته تحت الإقامة الجبرية. ومنذ هذا التاريخ تحولت دار العم أوصمان صبري في دمشق- حي الأكراد إلى ما يشبه مدرسة لتعليم اللغة الكردية وتصدير الوعي القومي الكردي وفي هذه المدرسة تعلم

كثير من الفتيان والشباب اللغة قراءة وكتابة وأتقنوها وتعلموا كيف يكونون أكراداً. وقد كان لوجوده في هذا الحي وفي هذا المجتمع الكردي أثر بالغ فكانوا يلوذون به لحل خلافاتهم ومشاكلهم إذا وجدت، ومن أفضاله على المجتمع الكردي في دمشق أن الأكراد كانوا يختارون أسماء كردية لأولادهم من الأبناء والبنات. لقد كان موضع ثقة واحترام. ولم يكن باب داره ليوصد أو يغلق دون أحد.. بل كان مشرعاً لكل صاحب حاجة.

ولم يشأ ان يدخل في دنيا المال والأعمال ويسخر طاقاته ويوظف إمكانياته لجمع الدينار والدرهم على حساب قضية آمن بها وكرس حياته لأجلها ولو أراد ذالك لكان ميسوراً وفي متناول يده حيث عرض عليه المستشار الفرنسي ان يملكه قرى على ضفاف الفرات فأبى ورفض لأنه فرغ نفسه للنضال الوطني وكان مثله الأعلى في الحياة هو استخلاص كردستان من المحتل الغاصب وخدمة الأمة الكردية لغةً وأدباً وشعراً للارتقاء بها إلى مصاف الأمم الأخرى.

كان مناضلاً وطنياً من الدرجة الأولى وفي الوقت نفسه كان مناضلاً اجتماعياً سواء بسواء يسعى الى غرس الأخلاق الفاضلة في نفوس الشباب الكرد واجتثاث ما هو دنيء وقذر من صدورهم الذي يمس إنسانيتهم ويهبط بهم إلى أدنى مستوياتها لأن أي عمل كان إذا لم تدعمه الأخلاق ولم يبنَ على أرضية من الصدق والإخلاص ولا يكتب له النجاح، وكان مؤمناً بالشيم

الإنسانية والقيم الأخلاقية ويبغض كأشد ما يكون البغض كلَ من يرتدي لباس الدين والوطنية ويتاجر بهما وهما منه براء ويحارب بشدة الفساد الأخلاقي والنفاق السياسي والدجل الاجتماعي .

انني أعلن بكل فخر واعتزاز: انني أحد الشباب الذين كانوا يتعلمون على يده. لقد تعلمت الكتابة النثرية على يده وتعلمت منه أشياء جليلة لم أكن أعرفها. تعرفت عليه عام 1983م واستمر العلاقة بيننا حتى آخر أيام حياته 1993م.

وفي 11-10-1993م كان رحيله عن هذا العالم في دمشق ودفن جثمانه الطاهر في قرية "بركفري"-الدرباسية في الجزيرة.. رحم الله الفقيد وأغدق عليه شآبيب رحمته وأسكنه فسيح جنانه.

ومن الجدير بالذكر أنه في 9-1-1998م حضر إلى دار المغفور له في دمشق جماعة من الأدباء والكتاب والصحافيين ورجال السياسة لإحياء ذكرى مرور "93" ثلاثة وتسعين عاماً على ميلاد الراحل الخالد والتحاور في أمر يخلّد اسم أوصمان صبري وبعد حديث مستفيض اتفقوا على إحداث جائزة باسم أوصمان صبري تقدم كل ثلاثة أعوام إلى شخص من غير الجنسية الكردية وقف مع الشعب الكردي ودافع عن حقوق المشروعة أو قدم للأكراد منفعة سواء في مجال اللغة أو الأدب أو النحت أو السياسة أو في المجال الإنساني. وشكلت لجنة

سباعية برئاسة الدكتور جمال نبز مهمتها الإشراف على منح هذه الجائزة. وهذه الجائزة هي سبيكة رقيقة من الذهب الخالص تحمل صورة أوصمان صبري دوّنت تحتها كتابة "جائزة أوصمان صبري لصداقة الشعوب".

في 21-7-2000م قدمنا أول جائزة في مدينة "أنقرة" إلى عالم الاجتماع الدكتور: إسماعيل بشيكجي.

وفي عام 2004م قدمت هذه الجائزة إلى صديقة الشعب الكردي دانيال ميتران في باريس.

وفي عام 2008م قدمت الجائزة الثالثة إلى صديق الأكراد الدكتور: منذر الفضل في السويد.

أوصمان صبري

كاتباً وشاعراً ومترجماً

لا شك أن الحكومات الشوفينية التي تحتل بلادنا وتغتصب كل ثرواتنا ما كان فوق ظهر الأرض أو في باطن الأرض تسعى جاهدة بكل وسائلها لمصادرة لغتنا وأدبنا وتراثنا وتاريخنا حتى نظل جاهلين بما يراد بنا، مستسلمين خانعين لطغيانهم.

لقد كتبت صفحة جديدة في تاريخ الأدب الكردي في كردستان الغربية، ولاسيما بعد الحركة البدرخانية الأدبية. بدأ ذلك التاريخ إثر صدور مجلتي "هاوار(1932-1943)م و روناهي (1942-1945)م".. وقد نسوّغ لأنفسنا أن نسمي هذه المرحلة "المرحلة الذهبية – بالمرحلة البدرخانية" التي كانت ثرةً وغزيرة أينع فيها الأدب الكردي. وكانت هذه المرحلة من صنع العلامة جلادت بدرخان والدكتور كاميران بدرخان وبفضلهما ظهرت أسماء لامعة في تاريخ الأدب الكردي لشعراء وكتاب وأدباء ومفكرين مثل: أوصمان صبري وقدري جان، ونورالدين ظاظا، وجكرخوين، وحسن هشيار، وأحمد نامي، وسيدايى تيريز، وغيرهم الذين أضافوا لوناً جديداً إلى الأدب الكردي.

إن الأدب ككل الكائنات. وجوده يعني وجود الإنسانية.. إنه ولاشك من صنع الإنسان.. ووراء كل أدب مهذب وسام إنسانية مهذبة وسامية.. إنه يستقي دستوره من عمق الحياة وأغوارها..

الفنون الأدبية لها مهج وأرواح.. إنها شاهدة على الكائن البشري.. إنها من نسيج الإنسان وخياله وتفكيره.. من شأن الأدب أن يعلم الفنان الإبداع والتجديد والابتكار.. إنه جنس من أجناس الجمال الذي لا تقدر الكلمات على الإحاطة بنعوته.. إنه شيء جميل يدل على جمال المكان والزمان.

إن تاريخ الأدب على صلة وثيقة بوعي الإنسان وإدراكه.. وتطور الأمم وتقدمها متعلقان بتطور الأدب وتقدمه.. ولاشك أن الأدب سلاح وأداة لتغيير أحوال المجتمعات وإعداد الأشخاص وبيئتهم.

ولا ريب في ان الكاتب والشاعر الكردي أوصمان صبري ينطلق في كتاباته من هذه القناعات والمفاهيم، إنه في جميع كتاباته يصدر عن الواقع أي أن أدبه كله أدب واقعي ومواضيعه برمتها لا تخرج عن دائرة التحدث عن النضال والكفاح ومأساة الأكراد وهمومهم وتخلفهم عن ركب الحضارة، ويضع يده على مكمن الداء ويصف الدواء، وكان يعمل على بث الروح القومية في نفوس الشباب وغرس معاني الرجولة والكرامة في عقولهم، وخلق الأحاسيس الوطنية والمشاعر القومية لديهم.

لقد كان حبه للغته فوق كل حب.. وكان له في الكتابة أسلوب خاص وله مدرسة خاصة في عرض أفكاره. وبذلك الأسلوب كان يعبر عما يجيش في نفسه من أحاسيس وآهات وآلام وهموم.. بذلك الأسلوب البليغ كان يكتب عن الحرية والكرامة

والإباء. لقد كان معجباً وفخوراً باللغة الكردية والأدب الكردي.. وكان يخشى على اللغة الكردية أن تذبل وتضعف وتذوى.. وكان شديد الاهتمام باللغة وصحة استخدامها بعيداً عن الخطأ ويحرص عليها كل الحرص لأنها تركة الآباء والأجداد وتراثهم التليد.. وكان يساهم- مع جلادت بدرخان- في إعداد ووضع الأبجدية الكردية اللاتينية التي كان يكتب بها كل أعماله الأدبية. إلا أنه كان له رأي آخر في الكتابة بالأبجدية الكردية اللاتينية، فقد كان يعتقد أن الأبجدية التي وضعها جلادت تنقصها خمسة أحرف وهي (p,ç,t,k,r) التي لها أكثر من صوت. فلماذا لا توجد في أبجدية جلادت! لذلك تلافى هذا النقص. ومع ذلك كان يستخدم أبجدية جلادت في كتاباته.

يجد أوصمان صبري نفسه حارساً وأميناً على اللغة الكردية، ويشير بأصابع الاتهام إلى أخطاء بعض الكتاب وهفواتهم. وبسبب هذه المسألة التاريخية يبدي عن رأيه في أولئك الذين لا يلتفتون إلى اللغة الكردية، ويجدون أنفسهم أسمى وأعظم من هذه اللغة قائلاً: "إن اللغة هي لغتنا جميعاً. إنها ليست لغة فرد أو فردين.. وحين نقدم خدمة للغتنا فإنما نحسن إلى أنفسنا.. ولكن الذين يهتمون بشؤون اللغة نادرون جداً". "نحن شعب دون لغة.. الآن نرى شباباً يجيدون اللغة العربية يقولون لنا: "سوف نخدم شعبنا.."... ولكن.. وآأسفاه.. إنهم يجهلون لغتهم فكيف أستطيع أن أصدقهم؟؟!".

من هذا الحديث يبدو لنا أن أوصمان صبري يرى أن اللغة هي هوية كل الآداب وهي هوية الأمم والشعوب لذلك يصرّ على القول: "في البدء كونوا أكراداً.. اقرأوا باللغة الكردية، وفكروا بالكردية واكتبوا بالكردية.. عيشوا أكراداً وموتوا أكراداً".

يمارس أوصمان صبري كتابة الشعر بلونيه المقيد والطليق "المقفى، والحر". نقرأ في ديوانه "العاصفة- باهوز" شعراً يتغزل بالوطن ويدعو إلى التضحية في سبيله. ولكنه دائم الحنين إلى شعر القوافي رغم أنه قد برع في العوم في بحر الشعر الحديث "الحر" المنعتق من قيود القافية. يتوق إلى الشعر التقليدي الذي غذي بلبان التراث القديم وأرتوى من عصارة فاكهة الأرض القديمة، وتغنى بجمال أبهة الماضي السحيق. إنه يسير على نهج الشاعر الكردي النابغة، ملا أحمد الجزيري، والشاعر الفذ أحمد خاني صاحب ملحمة مم و زين الرائعة والرائد الأول في الوعي الوطني والحس القومي. وقد نتساءل متى بدأ أوصمان صبري يقرض الشعر؟ فلنصغ إليه:

"بعد أن تقدمت في العمر قليلاً نشأت لدي رغبة جيّاشة في حفظ الشعر، فحفظت منه شيئاً عن ظهر قلب.. إلا أنني لم أكن أقتني من دواوين الشعر سوى سفرين: ديوان ملا أحمد الجزيري ومم وزين للملا أحمد خاني، ولما لم يكن في حوزتي من الشعر الكردي سوى هذين الكتابين انهمكت في قراءة الشعر السياسي باللغة التركية. وكنت قد تأثرت بالغ التأثر بتلك القصائد

والحكايات، وتغلغلت معانيها إلى مهجتي وعقلي وروحي فوجدتني أميل إلى قول الشعر ونظم القصائد وأتجه صوب العمل السياسي- ولذلك دخلت عالم الشعر وإن لم أكن شاعراً".

يقول أوصمان صبري متحدثاً عن بداياته الشعرية كالتالي:

"لم يخطر لي على بال قط أنني سأقول شعراً وأضم قصائدي وأجمعها في ديوان، لأنني قبل كل شيء، لا أحسبني شاعراً ولا أؤمن بشاعريتي. ولكنني أشعر بالسعادة وتنعم نفسي بالمسرة عندما يترنم بها أولئك القوميون وأصحاب الفكر الحر من السياسيين والثوريين ولهذا السبب أعتكف لكتابة الشعر حيناً بعد آخر. فإن الشعر إذا كتب بقصد إثارة المشاعر القومية فإنه سرعان ما يجد له وقعاً في النفوس، وكذلك تكون القصة. ولهذا أيضاً دوَّنت كل أعمالي الأدبية.".

لأوصمان صبري قصائد كثيرة من البحر الخفيف كالأناشيد المدرسية والثورية تغنى بها عدد كبير من الفنانين.

وهو لم ينس الصبيان والأطفال الصغار إذ كتب لهم قصائد شتى بلغة رائعة.

يستغرب العم أوصمان صبري ويتعجب حين يجد ذاك العدد الهائل من الكتاب الأكراد الذين يحاولون كتابة الشعر وينتقد محاولاتهم وقد ابتعدوا عن الكتابة النثرية يقول:

"كثيرون من كتابنا يجنحون إلى نظم الشعر وقد أهملوا الكتابة.. إن ذلك أمر مستهجن وغير مقبول.. إن الشعر هو ضرب من ضروب الأدب وليس الأدب كله، لذلك لا بد من العودة إلى الكتابة النثرية.. وعلى المرء أن يكتب ما يتقنه ويجيده.. ولست أدري لماذا يحاولون قول الشعر".

كما أن لأوصمان صبري مقالات مشحونة بالحكمة نشرت في مجلة "هاوار" تعالج بعض الأمراض والعيوب التي تفشو بين المجتمعات الإنسانية ومقالاته الأكثر سمواً وبلاغة هي التي كتبت عن الصيد وعن جبال "ساسون" و "آكري" و "مرديسان" وعن المرأة والأخلاق..

ويقول العم أوصمان في مكان آخر: "إذا نظمت القصيدة، وكتبت القصة بطريقة بارعة فمن شأنهما أن تؤدياً دوراً نبيلاً في نفوس الناشئة أوتربيتهم تربية وطنية صالحة".

يقول "توماس بوا": "إن أوصمان صبري في كتاباته القصصية والشعرية باللغة الكردية هو في المقدمة وهو أفضلهم".

في قصصه القصيرة مثل "الأبطال الأربعة" يتحدث عن أربعة من الرجال الصناديد في كردستان يقاتلون من أجل الحرية.. . وله قصص فنيه عن الحيوانات ذات أسلوب شائق.

وأوصمان صبري يعترف بأنه كاتب قصة قصيرة وليس روائياً أو كاتب قصة طويلة. وهو يعلن عن نفسه كالآتي:

"في أيام الصبا كنت مشغوفاً بالاستماع إلى القصص، فكنت إذا سمعت بشخص يجيد رواية القصص أرسلت في طلبه ولاسيما القصص التي تكون شخصياتها أبطالاً أو كنت أذهب إليه بنفسي للإصغاء إلى قصة جديدة وكانت القصة الأسطورية تروقني وتشبع فضولي، وفي وسعي أن اكتب القصة القصيرة ولكنني لا أجد في نفسي الكفاءة في صياغة القصة الطويلة فلست من فرسانها".

يقول الأديب الكردي البروفيسور: قناتي كردو في كتابه "تاريخ الأدب الكردي":

"من بعد جكرخوين فإن أوصمان صبري هو الشاعر الأول في جبال كردستان دون منازع.. لقد قضى أياماً طويلة من القهر والتعسف والقسوة ولكنه ظل مثابراً على عمله في سبيل تحرير كردستان واستقلالها".

وهو إلى هذا وذاك يجد أهمية بالغة ومنافع جمة في الترجمة ويعيرها باله كما فعل جلادت بدرخان، وقدري جان، وكاميران بدرخان، ونورالدين ظاظا، فهو يرى أنّ الترجمة إلى اللغة الكردية تضيف ثقافة جديدة إلى الثقافة الكردية وتغني آدابها. لقد

كان متضلعاً من اللغة الكردية لاشك في ذلك وكذلك كان متضلعاً من اللغة العربية ولكنه لم يجرب أن يكتب باللغة العربية.

لقد نقل أعمالاً كبيرة وقيمة من العربية إلى الكردية ونشرها في مجلتي: "هاوار و روناهي". مثل: -تاريخ الكرد وكردستان. –سيرة نابليون. –اليزيديون وعقيدتهم. –سيرة صلاح الدين... الخ.

ومن أعمال العم أوصمان صبري المطبوعة هي:

-الألف باء الكردية 1954م.

-العاصفة 1956م.

-آلامنا 1956م.

-الألف باء الكاملة 1982م.

-في عام 1981م نشرت له قصائد كثيرة في ألمانيا نشرها المغفور له "حمه رش رشو".

-وفي عام 2004م طبعة بعض قصائده في "ديوان أوصمان صبري" في اسطنبول نشرها آ. بالي. منشورات: "بيري"، اسطنبول.

-معركة ساسون. من منشوراتي عام 2005م. لبنان- بيروت، مطبعة أميرال.

-مذكرات أوصمان صبري. من منشوراتي عام 2005م. لبنان-بيروت، مطبعة أميرال.

-رواية "الأم" المترجمة عن العربية إلى الكردية لمكسيم غوركي وهي ما تزال مخطوطة.

يقترن اسمه بتاريخ شعبنا في مرحلة لها أهميتها وخطرها. هذه المرحلة التي امتدت أمداً طويلاً منذ عهد النضال والانتفاضات وانتهاء بالهزائم وهي فترة طويلة ففي الأيام التي كانت كردستان تعيش في جحيم من القتل والإبادة والتشريد والهزائم المنكرة لم يتقاعس ولم تهزم روحه، وظل متوفزاً متوثباً ينتظر اليوم الذي يواجه فيه العدو بقوة السلاح. فلما تخلى عنه بعض أصحابه وغدروا به وتركوه وحيداً في ساحة الوغى لم يقنط ولم ييأس، وحمل القلم- وهو السلاح الفتاك اذا أُحسن استعماله- ليقاتل به الأعداء وإن كان في دخيلة نفسه متلهفاً إلى اقتحام ميادين الحرب ومواجهة العدو الغاصب والمحتل الأثيم. لقد عرف أوصمان بأدبه وشعره وكتاباته كما عرف ببسالته وجرأته.. وقلما اجتمع السيف والقلم، وقلما كان صاحب القلم مغواراً يرمي بنفسه في المهالك وقلما كان صاحب السيف متأنياً ومفكراً في العواقب ولكنّ العم أوصمان صبري كان يحمل بين ضلوعه العلم والبطولة. لذلك فقد وصفه المتطفلون والانتهازيون والأنانيون بالعنف.

ففي كل مرحلة من المراحل قد يظهر بين الشعب من الشعوب رجل همام يتّسم بالبطولة والإجتراء والبأس. وقد تظهر في هذه الأمة أو تلك الأمة عالم جليل أو نابغة ولكن أوصمان صبري كان عالم زمانه وبطل زمانه. لقد كان العم أوصمان في مجمل حياته يضحي بالغالي والنفيس في سبيل قضية قومه وتحرير وطنه. ومن فلسفته في الحياة "ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة" لقد كان يسعى إلى حياة كريمة أو موت مشرّف. وكان يقول: "من طأطأ رأسه ذات مرة فلن يستطيع أن يرفعه شامخاً" "ما نال امرؤ شرفاً ورفعة بالضعف والهوينى".

كان رحمه الله شجاعاً في نضاله جريئاً في مواقفه صادقاً في أقواله مخلصاً في أعماله وفياً لمبادئه صريحاً في آرائه، ما أحب المداهنة والرياء وما أحب التلون والنفاق، كان معتزاً بنفسه واثقاً بها لدرجة الإفراط، إذا اقتنع بصحة موقف أو خطئه، وبصواب رأى أو فساده فمن الصعب جداً أن يتزحزح عن موقفه أو يتنازل عن رأيه وان تألبت عليه الدنيا.

يقول: "إن المجاهد الحقيقي ينبغي له أن لا يخشى ثلاثة أشياء: الجوع، والسجن، والموت".

أحييكم وأقدم باقة ورد لضريح الراحل الخالد. وشكراً.

المصادر والمراجع:

-"ديوان أوصمان صبري" طبع في اسطنبول نشرها آ. بالي. من منشورات: "بيري"، اسطنبول 2004م.

-مذكرات أوصمان صبري. ترجمة: دلاور زنكي و هورامي يزدي، تقدمة: ملا داود زيني. لبنان- بيروت 2001م، مطبعة أميرال.

-من أدب القضية. إعداد: دلاور زنكي و أحمد شهاب، ألمانيا، الطبعة الأولى، خاص، 2011م.

-بيناهي. دلاور زنكي. لبنان- بيروت، مطبعة أميرال. 2011م.

-لقاءاتي ومقابلاتي وحواراتي الشخصية مع العم أوصمان صبري.

-مجلة "هيفي" العدد: (7)، عام 1990م، من منشورات المعهد الكردي في باريس.

ألقيت هذه المحاضرة بمناسبة افتتاح مركز **"منتدى أوصمان صبري"** في القامشلي بتاريخ 9-5-2012م.